

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ
رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا
يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: 58 - 59]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

في مناسبة الآية لما قبلها وجهان:

اختصاص
الله للمهاجرين
بالذكر تفخيماً
لشأنهم وترغيباً
في الهجرة

الأول: لما ذكر الله تعالى أن الملك له يوم القيامة، وأنه يحكم بين العباد، ويدخل المؤمنين الجنات؛ أتبعه بذكر وعده الكريم للمهاجرين، مفرداً لهم بالذكر تفخيماً لشأنهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، **والثاني:** لما كان المشركون يمنعون بهذه الشبهة - التي يوحىها إليهم أولياؤهم من الشياطين - كثيراً من الناس عن الإيمان، وكانوا لا يتمكّنون بها إلا ممن يخالطهم؛ رغب سبحانه المؤمنين في الهجرة حرصاً عليهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿هَاجَرُوا﴾: (هجر) أصل يدل على قَطِيعَةٍ وَقَطْعٍ، وَالْهَجْرُ: ضِدُّ الْوَصْلِ، وَهَاجَرَ الْقَوْمُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ: تَرَكَوا الْأَوَّلَى لِلثَّانِيَةِ، كَمَا فَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ^(٣)، وَالْأَسْمُ: الْهَجْرَةُ (بِالْكَسْرِ وَالضَّمُّ): الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أُخْرَى، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ^(٤)، وَهُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 243 / 23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 76 / 13.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (هجر).

(2) ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾: (رزق) أصلٌ يدلُّ على عطاءٍ لَوْفَتٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه غَيْرُ الْمَوْقُوتِ، فالرَّزَقُ: عطاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ⁽¹⁾، والرَّزَقُ: كُلُّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ: أَرْزَاقٌ⁽²⁾، والرَّزَقَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ⁽³⁾، والرَّزَقُ بفتحِ الرَّاءِ: الْعَطَاءُ الدَّائِمُ، يُقَالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا، أَي: أَعْطَى وَوَهَبَ، وَالرَّازِقُ: الْمُعْطَى، وَهُوَ اللَّهُ⁽⁴⁾، وَكُلُّ مَا يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ، وَيُتَغَذَّى بِهِ؛ فَهُوَ رَزَقٌ، وَمِنْ مَعَانِي الرَّزَقِ أَيْضًا: الْكَسْبُ، الْهَبَةُ، الصَّدَقَةُ⁽⁵⁾، وَمَعْنَى ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾: مُوَافَقٌ لِمَعْنَى اللَّغْوِيِّ، أَي: "لَيُجَرِّينَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَرَزَقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ"⁽⁶⁾.

(3) ﴿مُدْخَلًا﴾: (دخل) أصلٌ مطَّردٌ منقاسٌ هو الْوُلُوجُ⁽⁷⁾، دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولًا، وَالْمُدْخَلُ: الدُّخُولُ وَمَوْضِعُ الدُّخُولِ أَيْضًا، تَقُولُ: دَخَلْتُ مُدْخَلًا حَسَنًا، وَدَخَلْتُ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَالْمُدْخَلُ (بِضْمِ الْمِيمِ): الْإِدْخَالُ، وَالْمَفْعُولُ مَنْ أَدْخَلَهُ، تَقُولُ: أَدْخَلْتُهُ مُدْخَلَ صِدْقٍ⁽⁸⁾، وَالْمُدْخُولُ: تَقْيِضُ الْخُرُوجِ، وَيُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْأَعْمَالِ⁽⁹⁾، وَمَعْنَى ﴿مُدْخَلًا﴾ فِي آيَةِ مُوَافَقٌ لِمَعْنَى اللَّغْوِيِّ، أَي: اسْمُ مَكَانٍ أُرِيدَ بِهِ الْجَنَّةُ⁽¹⁰⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

الذين فارقوا ديارهم وأهليهم طلباً لرضا الله وطاعته، ثُمَّ قَتَلُوا، أَوْ مَاتُوا دُونَ قَتْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثْبِتُهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا حَسَنًا، وَإِنَّ اللَّهَ

وَعْدُ اللَّهِ
لِلْمُهَاجِرِينَ
بِالرِّزْقِ الْحَسَنِ
وَالْمُدْخَلِ الرِّضِيِّ
عَوْضًا عَمَّا تَرَكَوهُ

- (1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
- (2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
- (3) ابن عباد، المحيط في اللغة: (رزق).
- (4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رزق).
- (5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).
- (6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 283 / 3.
- (7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دخل).
- (8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دخل).
- (9) الراغب، المفردات: (دخل)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 7 / 2.
- (10) الشوكاني، فتح القدير: 549 / 3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 311 / 17.

لَهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ يَرْزُقُ عِبَادَهُ، وَيُعْطِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ وَسَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ،
فَيَرْضَوْنَ بِذَلِكَ، وَلَا يَبْغُونَ بِهَا بَدَلًا؛ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى خُرُوجِهِمْ مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فِي سَبِيلِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِمَنْ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِهِ،
وَمَنْ يَخْرُجُ طَلَبًا لِلدُّنْيَا، حَلِيمٌ بِمَنْ عَصَاهُ، فَلَا يُعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ
يُوَاصِلُ لَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، وَيَمْنَحُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ عاطفة، والمعطوف عليه
قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾،
وهو من باب عطف الخاص على العام؛ إذ المهاجرون من زمرة
المؤمنين، وغرض العطف تفخيم شأنهم⁽²⁾، وإظهار شرافتهم
وقربهم من الله تعالى، وإنعامهم بأنواع الكرامات ممتازين عن
سائر المسلمين والمسلمات⁽³⁾، وكذلك التثوية بشأن الهجرة⁽⁴⁾،
ويُحتمل أن تكون الواو استئنافية، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾ ابتداءً معنى آخر⁽⁵⁾.

والصد عن سبيل الله قد يتسبب عنه هجرة الضعفاء من أهل
الإسلام والإيمان، فهذه الآية مُتَّصِلَةٌ بِالآيَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعَشْرِينَ
فِي السَّبَاقِ الْبَعِيدِ؛ إِذْ هِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا مِنْ بَابِ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى
الصَّدْرِ، كَمَا رَجَعَ إِلَيْهَا آيَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج:
38] من بعد الحديث عن الحج وبعض أحكامه ومعانيه، ومما حسن
ذِكْرَهَا فِي السُّورَةِ ذِكْرُ الْحَجِّ فِيهَا، فَإِنَّ الْحَجَّ فِيهِ مَعْنَى الْهَجْرَةِ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 674 / 18.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 243 / 23.

(3) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البضاوي: 102 / 13.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 17.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 130 / 4.

في عطف
الخاص على
العام تفخيم
لشأن الهجرة
وللمهاجرين

وفي الآية رد
للعجز على
الصدر

غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته:

في التعبير بالاسم الموصول (الذين) وصلته في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دون التعبير بالاسم الظاهر (والمهاجرون) إيماءً إلى سبب استحقاق المهاجرين في سبيل الله لهذا الخير الكبير من الرزق الحسن والمدخل الكريم، واستوائهما في هذا الفضل، وهو خروجهم في سبيل الله، وقصدهم نصر دينه، فقتلوا، أو ماتوا، وفي هذا حث على جميع المؤمنين في لواء واحد، وكل مؤمن مدعو للهجرة حتى لا يكون المؤمنون مبغضين في الأرض... فليس لمؤمن أن يعيش ذليلاً للاستضعاف في أرض عدو ولا يستطيع أن يقيم شعائره الإسلامية فيها⁽¹⁾.

الموقع النحوي للاسم الموصول:

الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مبتدأ، وخبره جملة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾⁽²⁾، والابتداء بالاسم الموصول (الذين) - والمقصود به الذين هاجروا في سبيل الله - إشارة إلى تقديمهم والاهتمام بهم ورفع شأنهم.

فائدة الحديث عن الوعد للمهاجرين بعد وعيد المكذبين:

أتبع البيان الإلهي حديثه عن المكذبين وما توعدهم به من عذاب مهيئ في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بالحديث عن المهاجرين، وما أعدّه الله لهم من رزق حسن ومُدخل يرضونه عوضاً عما تركوا من ديار وأموال؛ تنويهاً بشأن الهجرة وحثاً وتصبيراً عليها رغم ما تحمله من صعوبات؛ لأنها كانت الحصن الرئيس في دفع الظلم عن أنفسهم، وحمايتهم من الافتتان في دينهم تحت وطأة ما يلاقونه من التعذيب، والإغراءات الدنيوية،

مَنْ عُرِفَ
بِالهِجْرَةِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ؛
كَانَ مَعْرُوفًا فِي
حَضْرَتِهِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يُحْتَفَلُ
بِالطَّائِعِينَ مِنْ
عِبَادِ اللَّهِ

الهِجْرَةُ
مِنْ أُمَمَاتِ
الصَّالِحَاتِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5011/9.

(2) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1245، والشوكاني، فتح القدير: 549/3، والهرري،

حدايق الروح والريحان: 391/18.

بضدّها تميّز
الأشياء

والشُّبّه التي يروّجها كفّار قريش، ولأنّها كانت كذلك الأساس الأوّل لبناء دولة موحّدة في المدينة تواجه دولة الكفر والإشراك. وفي وعد المهاجرين بعد وعيد المكذّبين إظهاراً للبون الشاسع بينهما، وتصويراً لأعلى درجات التّضادّ بين الفريقين: فريق الكافرين المُكذّبين بآيات الله الذي حملهم استكبارهم وعُتُوهم على التّكذيب وعدم الطّاعة والتّسليم؛ فاستحقّوا الوعيد بالعذاب المهيّن، وفريق المهاجرين الذين تجرّدوا من كلّ شيء، ومن كلّ ما تعتزُّ به النّفس، وتحرّص عليه من الأهل والديار والأوطان، وآثروا العقيدة على هذا كلّ طاعة لله وتسليماً له، وابتغاء رضوانه، فاستحقّوا الوعد بهذا الإكرام.

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

للمهاجر من أبصر
سبيل الله

أفاد حرف الجرّ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معنى الظّرْفِيّة المجازيّة، والتّعبير بها إيداناً بكمال صدقهم وإخلاصهم في تركهم الديار والأموال، فإنّهم جعلوا طريق ذي الجلال والإكرام التي شرعها ظرفاً لمهاجرتهم، فلم يكن لهم بها غرض آخر⁽¹⁾، فهم في هجرتهم مظلوفين للدين مراعين له لا يخرجون عنه بوجه ما مهما اشتدّت بهم الأحوال، وفي جعل سبيل الله ظرفاً للهجرة معنى إحاطة المهاجرين بمعنى الظّرف، فقد فقّهت بصائرهم حقيقة سبيل الله، فهم يسرون في أنواره وهداياته، وفي هذا كل مدح لهم وثناء عليهم.

فائدة التقييد بشبه الجملة: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

الهجرة الحقّة
قرائنها جليّة

قيّد البيان الإلهي الهجرة بكونها في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لبيان أحد أهمّ شروط الهجرة، وهي أنّ تكون في سبيل الله، لا من أجل دنيا يُصيبها، أو امرأة ينكحها،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 76/13.

ولإفادة أنَّ الهجرة جهادٌ في ذاته، فالذين هاجروا في سبيلِ الله تعالى - ليجتمعوا مع المؤمنين، ويجاهدوا معهم - لهم جزاءُ الرزقِ الحسنِ والمدخل الكريم⁽¹⁾.

غرض الالتفات في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

عَدَلَ البَيَانُ القرآنيُّ عن ضميرِ المتكلمِ الجمعِ ﴿بَيَّيْتَنَا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إلى صيغةِ الضميرِ الغائبِ المفردِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فلم يَقُلْ: (في سبيلنا) لاختلافِ المقتضى؛ إذ إنه في الآية الأولى لما كانت تتحدثُ عن وعيدِ الكافرين بالعذابِ المَهِينِ؛ عبَّرَ بضميرِ المتكلمِ الجمعِ الدالِّ على عظمةِ الله وعظمةِ فضله في إنزالِ الآياتِ بما يدلُّ على عظيمِ قبحِ فعلِ الكافرين، واستحقاقهم هذا العذابَ المَهِينَ، أي: كفروا، وكذبوا بالآياتِ رغمِ عظمتها وعظمةِ منزلها، ولكنه لما انتقل للحديثِ عن المهاجرين، وما أعدَّه لهم من العطاءِ؛ عدَلَ إلى التعبيرِ بضميرِ الغائبِ المفردِ؛ ليشيرَ إلى فضلِ المؤمنين المهاجرين.

وفي العدولِ إلى ما عليه التَّنْزِيلُ بيانٌ أنَّ المهاجرين اتَّخَذُوا الهجرة مسلِّكًا يتعرَّفون به على الله، ويترقَّون به في سُلَمِ مقاماتِ الإيمان، وقد أدركوا معاني أسمائه وصفاته التي أخبر بها القرآنُ عنه ﷺ، وأخبرت بها السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾:

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾؛ حرفٌ عطفٌ يدلُّ على التراخي في موضعه؛ لأنَّ قتلهم ليس عَقَبَ الهجرة، ولا موتهم كذلك، بل إنَّهم يعيشون مقيمين مع المؤمنين ما شاء الله أَنْ يقيموا مجاهدين حتى يستشهدوا في قتالٍ، أو

غابت عنهم
ذاتُهُ، وحضرت
فيهم أَسْمَاؤُهُ
وصفاته

المهاجرون
اتَّخَذُوا الهجرة
مَسْلَكًا يتعرَّفون
به على الله

قد تجمع (ثم)
بين التراخي
الحقيقي
والمجازي

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5011/9.

يموتوا حَتَفَ أنوفهم⁽¹⁾، ففي هذا التراخي إشارة إلى طول العمر، وفيه أيضاً علو الرتبة بسبب الهجرة⁽²⁾، فجمع الحرف: ﴿ثُمَّ﴾ بين التراخي الحقيقي والتراخي المجازي.

نكتة التعبير بالفعل المبني للمفعول ﴿قُتِلُوا﴾:

قاتل الشريف
حقير، ولو كان
ملكاً

آثر البيان الإلهي التعبير بالمبني للمفعول ﴿قُتِلُوا﴾ في قوله: ﴿هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾، ولم يأت بالمبني للفاعل، فلم يقل: (ثم قتلهم المشركون أو الكافرون أو أعداؤهم)؛ للتركيز على الحدث، وهو القتل، أي: الشهادة في سبيل الله، وحصر الوعي فيه، وللدلالة على العموم والإبهام في القاتل، ولئلا يُعكّر صفو الحديث عنهم ومدحهم بذكر أولئك الأعداء.

بلاغة توجيه القراءات في: ﴿قُتِلُوا﴾:

سبحان من
ألقي في قلوب
أصفيائه محبة
القتل في سبيله

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ قراءتان متواترتان، قرأ ابن عامر بتشديد التاء ﴿قُتِلُوا﴾، والباقون بتخفيفها⁽³⁾، وقراءة التشديد تفيد معنى التكاثر⁽⁴⁾، أي: تُفيد المبالغة وكثرة القتل، بينما قراءة التخفيف لا تُفيد التكاثر والمبالغة، وفي اختلاف القراءتين إشارة إلى تنوع أحوال المهاجرين وما يُصيبهم من شدائد بين قتلٍ وتقتيل، وفي الجمع بين القراءتين جمع لأحوال المهاجرين الذين قُتلوا في سبيل الله، فهم في جميع أحوالهم وعدهم الله بالرزق الحسن والمدخل المرضي.

وفي قراءة التشديد إشارة إلى صعوبة القتل على النفس؛ لأنها قُتِلَتْ، وهي غريبة، وفي قراءة التخفيف إشارة إلى حُبُّ المحدث عنهم للقتل، حيث هو وسيلة جليلة إلى غاية أجل منها، حيث لقاء الأحبة محمد ﷺ وصحبه، في الدرجات العلا في جنات الخلد.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5012/9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 77/13.

(3) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 255، وابن الجزري، النشر: 243/2.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 89/12.

معنى ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ مَاتُوا﴾:

بالتعبير بحرف ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ سوى القرآن في الوعد بين من قُتِلَ في الجهاد، ومن مات حتف أنفه، من الذين هاجروا؛ لاستوائهما في القصد وأصل العمل، فيُعطي من مات منهم مثل ما يُعطي من قُتِلَ فضلاً منه وإحساناً، وقد روي في سبب نزول الآية أنَّ بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا: يا نبيَّ الله هؤلاء الذين قُتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير، ونحن نجاهدُ معك كما جاهدوا؛ فما لنا إن متنا؟ فنزلت الآية⁽¹⁾.

لا حرج على
فضل الله ﷺ

الغرض من تقديم القتل على الموت:

في تقديم القتل على الموت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ رغم استوائهم في وعد الله بالرزق الحسن والمُدخل المرضي لهم؛ متسق مع محور السورة المتعلق بجانب رفع الشعائر الدينية والتمكين للمؤمنين.

المقيس عليه
أصل للمقيس

معنى اللام في قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾:

لام ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ موطئة للقسم، والجملة الفعلية جوابٌ لقسم محذوف، تقديره: (وعزتي ليرزقن الله الذين خرجوا من ديارهم طلباً لرضا الله ونصرة لدينه، ثم قُتلوا أو ماتوا رزقاً كريماً حسناً)، والجملة القسمية وجوابها خبر للمبتدأ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾، ومن منع ذلك يُضمر قولاً هو الخبر، والجملة محكية به⁽²⁾، والقسم يُفيد التوكيد، أي: توكيد وعد الله للمهاجرين بالرزق الحسن إكراماً وتطيئاً لهم.

في لام القسم
توكيد لوعد
الله للمهاجرين
بالرزق الحسن

(1) البضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 76، وأبو حيان، البحر المحيط: 7 / 529.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 116.

عمومُ الجزاءِ
كنايةً عن
عظمته وفخامته

نكتة توالي المؤكّدات في: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾:

أكد البيان القرآني جملة ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ بعدة مؤكّدات، هي: اللّامُ الموطّئة للقسم، ونون التوكيد الثقيلة، والمصدر ﴿رِزْقًا﴾، ووصف الرّزق بالحسن، وهو الرّزق الدائم الذي لا ينقطع، وهذه المؤكّدات تُفيد المبالغة في عظمة هذا الرّزق، وأنّه لا ينقطع، ولا يزول، وهو خيرُ زرقٍ وأطيبه وأوسعهُ⁽¹⁾، سواءً أكان المقصودُ به رزقُ الشّهداءِ عند ربهم في البرزخ، أم في الجنّة⁽²⁾، وهذه المؤكّدات تُبين أنّ في هذا الرّزق شيئاً أو أشياءً عجيبة وغريبة، ممّا يحتاج المتلقّي معها إلى توكيد وتحقيق.

نكتة تنكير ﴿رِزْقًا﴾:

العطاء بقدر
المُعطي

نكّر البيان الإلهي لفظ ﴿رِزْقًا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، لإفادة معنى التّكثير والتّفخيم والتّعظيم لشأن هذا الرّزق، فَرِزْقُ اللَّهِ العظيم عظيمٌ، فهو رزقٌ حسنٌ لا ينقطع؛ إذ هو خالدٌ بإخلاصِ الله له، وكلمة ﴿رِزْقًا﴾ إمّا مفعول ثانٍ؛ أي: مَرزوقاً حسناً، أو مصدرٌ مؤكّدٌ لإكرامِ الله عباده المؤمنين بالرّزقِ الحَسَنِ الذي لا ينقطع⁽³⁾.

فائدة وصف الرّزق بالحسن:

تميّزوا بالهجرة،
وتفوّقوا بحُسن
ثوابها

الرّزق الحَسَن هو الرّزق الدائم الذي لا ينقطع، وقيل: هو الجنّة، وقيل: هو قوله ﴿لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَنَةٍ﴾، وفي وصف هذا الرّزق بالحسن بيانٌ أنّ الله يُرضيهم بحيث لا يتطلّبون غيره؛ لأنّه لا أحسن منه⁽⁴⁾، وهذا الوصفُ ناظرٌ إلى آثار الهجرة من الغربة وغيرها، فهو رزقٌ يُوضّحهم الله به عمّا فقدوه من تلك الأمور، فلذلك كانوا مُميّزين في ثوابهم عن غيرهم.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 116 / 6، والشوكاني، فتح القدير: 549 / 3.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 130 / 4.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 116 / 6، والشوكاني، فتح القدير: 549 / 3.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310 / 17.

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ اعتراضية، والجملة بعدها معترضة بين البدل ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ والمُبدل منه ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾؛ تقوية للكلام الذي اعترضت بين أجزائه وتوكيداً لمعناه؛ إذ الاعتراض جارٍ عند العرب مجرى التأكيد، أي: مبالغة في بيان أهمية ما أعدّه الله للمهاجرين في سبيله من الرزق الحسن، وتوكيداً لوقوعه، بما يُعدُّ إشارة إلى الحث على الهجرة في سبيل الله والجهاد والاستشهاد لنصرة دين الله سبحانه، وإضفاء الاعتراض من معناه على الجملتين الأخريتين أبلغ من إضفائه عليهما، وهو مؤخر في موقعه، فهو مُمسك بالجملتين، ومضمونه جارٍ في جميع عروقهما.

تمكين الوعد
بالرزق الحسن
رزق حسن

فائدة تتابع المؤكّدات في ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾:

أكد البيان القرآني جملة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ بعدة مؤكّدات؛ بكونها جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام، وبحرف التوكيد (إن)، واللام المزلحقة، ومجيء الخبر ﴿لَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ جملة اسمية أيضاً، حيث أفادت هذه المؤكّدات المبالغة في تصوير عظمة رزق الله تعالى⁽¹⁾؛ لأنه لما كان مضمون الجملة حقيقة عظيمة؛ كان من حقها أن يُعبّر عنها بأسلوب عظيم، وما هذه المؤكّدات إلا علامة قوّة على عجيب هذا الرزق الإلهي وغريبه، ومن ذلك عمومُه الشّدِيد، ومغايرته لما يألفه المخلوقون وغير ذلك، وقد ازداد ذلك حسناً وبراعةً بإجمال المعنى.

التوكيد صورة
لغايرة رزقه لهم
لرزقه غيرهم

نكتة حذف متعلّق ﴿خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾:

أوجز البيان القرآني بعدم ذكر مُتعلّق ﴿خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ لإفادة

إيجاز حكيمة
غرضه بيان
فضل الله على
العالمين

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 116/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 322/17.

عموم المتعلّق، فهو خيرُ الرازقين لعباده من الإنس والجنّ وجميع مخلوقاته، فكان في الحذف دلالة على الألوهية، فإذا كان رازقاً بتلك الصّفة؛ فكيف يكون رزقه لهؤلاء.

دلالة تكرار لفظة الرّزق في الآية:

في العمل
الصالح بذرة
حقيقة ثوابه

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تكرر ذكر الرّزق في الآية ثلاث مرّات وبعده صيغ، وهي: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ بصيغة المضارع، و﴿رِزْقًا﴾ بالمصدر، و﴿الرّازِقِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل المجموع، وذلك تحسين للكلام وإحكام له، وتأكيد لتحقيق وعد الله للمهاجرين بالرزق بما يُطمئن قلوبهم، وتنويه على أهميّة رزق الله تعالى وعظمته وكثرته، وهذا التكرار لمعنى جزء من معاني آية الثّواب صورةً لبالغ الصّعوبة والمشقة التي لاقاها الذين هاجروا، ثم قُتلوا، أو ماتوا.

بلاغة القصر ونوعه في فاصلة الآية:

تفرد الله ﷻ
بالرزق فأبدع
فيه

ضمير الفصل (هو) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، يُفيد القصر، وهو قصر حقيقي، يؤكد أنّ الله هو وحده الرّازق على الحقيقة، ورزقه لا يقدر عليه أحدٌ غيره، وفي التوكيد بالقصر تصوير لعظمة رزق الله تعالى⁽¹⁾.

دلالة ﴿خَيْرُ﴾ على أفعال التّفضيل:

ليس كمثله
رزقه رزق؛ لأنّه
الرازق

عبّر البيان القرآني بأفعال التّفضيل ﴿خَيْرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ مع العلم بأنّ كلّ الرّزق من عنده سبحانه؛ للإشارة إلى أنّه تعالى مُختصّ بأن يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى، وبأنّه الأصل في الرّزق، وغيره إنّما يرزق بما له من الرّزق من جهة الله، وينقل الرّزق من يده إلى يد غيره، لا أنّه يفعل نفس الرّزق،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116، وابن عاشور، التّحريض والتّنبؤ: 17/ 322.

وَأَنْ غَيْرِهِ إِذَا رَزَقَ؛ فَإِنَّمَا يَرْزُقُ لانتفاعه به، إمَّا لأجلِ أَنْ يَخْرَجَ عن الواجب، وإمَّا لأجلِ أَنْ يَسْتَحَقَّ به حمداً أو ثناءً، أمَّا الحقُّ سبحانه؛ فَإِنَّ الرِّزْقَ الصَّادِرَ مِنْهُ لِمَحْضِ الإِحْسَانِ وَالتَّفَضُّلِ؛ لِأَنَّ كَمَالَهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَهُ، فَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْ شَيْءٍ كَمَالاً زَائِداً، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى ذَلِكَ الْإِنْسَانَ أَنْوَاعَ الْحَوَاسِّ، وَأَعْطَاهُ السَّلَامَةَ وَالصِّحَّةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِذَلِكَ الرِّزْقِ؛ لَمَا أَمَكَّنَهُ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ، وَرَزَقَ الْآخِرَ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقاً بِرِزْقِ اللَّهِ وَمَلْحُوقاً بِهِ حَتَّى يَحْصَلَ الْإِنْتِفَاعُ، وَأَمَّا رِزْقُ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ الْمَرْزُوقَ يَكُونُ تَحْتَ مِنَّةِ الرَّازِقِ، وَمِنَّةُ اللَّهِ أَسْهَلُ تَحْمُلاً مِنْ مِنَّةِ الْآخِرِينَ⁽¹⁾، وَهَذِهِ الْمَعَانِي السَّابِقَةُ تُؤَكِّدُ عَظِيمَ تَفَضُّلِ وَعَطَاءِ اللَّهِ، وَعَظِيمَ رِزْقِهِ تَعَالَى، فَلَا رِزْقَ كَرِزْقِهِ سُبْحَانَهُ، الَّذِي هُوَ خَيْرُ الْأَرْزَاقِ لَصُدُورِهِ مِنْ خَيْرِ الرَّازِقِينَ⁽²⁾.

نكتة جمع «الرَّازِقِينَ»:

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقِرْآنِيُّ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ «الرَّازِقِينَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»، وَلَمْ يَقُلْ: (لهو خير رازق)؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي بَيَانِ أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ هُوَ خَيْرُ الْأَرْزَاقِ لَصُدُورِهِ مِنْ خَيْرِ الرَّازِقِينَ؛ أَيْ: إِنَّهُ رَغْمَ اجْتِمَاعِ كُلِّ الرَّازِقِينَ - فَرَضًا وَجَدَلًا - فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدَانُوا رِزْقَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ الرَّازِقُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَا بَدَّ لِأَيِّ رِزْقٍ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقاً بِرِزْقِ اللَّهِ وَمُلْحَقاً بِهِ، إِذَا فَالْتَعَبِيرُ بِالْجَمْعِ أُبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رِزْقِهِ سُبْحَانَهُ.

وَفِي الْجَمْعِ تَنْبِيهُ عَلَى تَعَدُّدِ أَنْوَاعِ رِزْقِهِ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ، فَمِنْ جِزَاءِ هَؤُلَاءِ مَا لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْحَقُّ نَفْسُهُ جَلَّ وَتَقَدَّسَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْ رَّبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا» ﴿٢١﴾ [الإنسان: 21]، وَمِنْهُ مَا يَقُومُ بِهِ بَعْضُ مَلَائِكَتِهِ بِأَمْرِ مِنْهُ ﷻ.

التَّعْبِيرُ بِالْجَمْعِ
فِي (الرَّازِقِينَ)
أُبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ
عَلَى اللَّهِ وَرِزْقِهِ

(1) الْفَخْرُ الرَّازِي، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 23 / 243.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 17 / 311.

نكتة فصل قوله: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَنَهُ﴾:

مظهر آخر
لتكريم الله
لمن خرجوا
من ديارهم
وأموالهم في
سبيله

فَصَلَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيَّ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَنَهُ﴾،
وَالَّتِي قَبْلَهَا ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ
رِزْقًا حَسَنًا﴾، وَلَمْ يَأْتِ بِالْعَاطَفِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ مِنْ كَمَالِ اتِّصَالٍ،
أَي: اتِّحَادٍ تَامٍّ فِي الْمَعْنَى؛ بِسَبَبِ كَوْنِ هَذِهِ الْآيَةِ بَدَلًا اشْتِمَالٍ مِنْ قَوْلِهِ:
﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾؛ لِأَنَّ كَرَامَةَ الْمَنْزِلِ مِنْ جُمْلَةِ الْإِحْسَانِ فِي الْعَطَاءِ،
بَلْ هِيَ أَبْهَجُ لَدَى أَهْلِ الْهَمَمِ؛ وَلِذَلِكَ وَصِفَ الْمُدْخَلَ بِـ﴿رِزْوَنَهُ﴾⁽¹⁾،
أَوْ هِيَ اسْتِثْنَاءٌ مُقَرَّرٌ لِمُضْمُونِهِ؛ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرِّزْقُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ
الدَّارِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الرِّزْقِ؛ قَالَ دَالًّا عَلَى خِتَامِ الَّتِي قَبْلُ⁽²⁾.

معنى اللام في قوله: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾:

القسَمُ توكيدٌ
يُطمئن المؤمنين
ويحثهم على
الهجرة ويُعرض
بالتقاعسين

لَاَمْ ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ﴾ مَوْطِئَةً
لِلْقَسَمِ، وَالْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ جَوَابٌ لِقَسَمٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (وَعَزَّتِي
وَجَلَالِي لِيَدْخِلَنَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ إِدْخَالًا كَرِيمًا أَوْ مُدْخَلًا
كَرِيمًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ)، وَفِي هَذَا تَوْكِيدٌ لَوَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ بِالْمُدْخَلِ الْمَرْضِيِّ
تَبَشِيرًا وَإِكْرَامًا لَهُمْ، وَحَثًّا عَلَى الثَّبَاتِ فِي الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، وَتَعْرِضًا مِنْ تَقَاعَسٍ عَنِ الْهَجْرَةِ، أَوْ مَنْ يَهَاجِرُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا
أَوْ امْرَأَةً يَنْكَحُهَا.

نكتة إضمارِ الفاعل مع الإدخال دون الرزق:

الرَّزْقُ الْحَسَنُ
وَالْمُدْخَلُ الْمَرْضِيُّ
لِلْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْهُ
سُبْحَانَهُ

أَضْمَرَ الْبَيَانُ الْقِرَاطِيَّ فَاعِلَ ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ:
(لِيَدْخِلْنَهُمُ اللَّهُ) اخْتِصَارًا؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ فَاعِلُ
﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا﴾، وَخَاصَّةً أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ﴾
بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾، وَلَكُونُ فَعِلِ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا
لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَنْصَرِفُ الذَّهْنُ فِيهِ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 311 / 17.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 77 / 13.

فائدة تتابع المؤكّدات في: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنَةٍ﴾:

تضمّن قوله تعالى: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنَةٍ﴾ عدّة مؤكّدات من البدليّة في ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾، التي قرّرت الرّزق الحسن وهو الجنّة، واللّام الموطّئة للقسم، والقسم، ونون التّوكيد الثّقيلة، والمصدر الميمي ﴿مُدْخَلَ﴾ الذي أكّد به فعله⁽¹⁾؛ إذ التقدير: (ليدخلنهم إدخالاً كريماً)، بما يفيد المبالغة في عظم هذا المدخل الذي وعد الله به المهاجرين في سبيله، فقد خرجوا مخرجاً يرضي الله، فتعهد لهم الله بأنّ يدخلهم مدخلاً يرضونه.

نكتة تنكير ﴿مُدْخَلَ﴾:

نكّر البيان الإلهي لفظ ﴿مُدْخَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنَةٍ﴾ في سياق الامتنان؛ لإفادة معنى التّفخيم والتّعظيم في الإكرام الإلهي للمهاجرين، فهو إدخال عظيم من ربّ عظيم، أو مكان عظيم من ربّ كريم، لا يُحدّ حدّه، ولا يُقدّر قدره، أي: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

توجيه القراءات المتواترة في ﴿مُدْخَلَ﴾ وبلاغتها:

في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنَةٍ﴾ قراءتان متواترتان للفظ ﴿مُدْخَلَ﴾⁽²⁾؛ إذ قرأها الجمهور بضمّ الميم من (أدخل) المزيد، فهو محمول على الفعل المذكور ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾، تقول: أدخل يدخُل إدخالاً ومُدْخَلَ، وهو اسم مكان، أريد به الجنّة، فهو مفعول ثانٍ للإدخال، أو مصدر ميميّ أكّد به فعله.

وقرأ نافع وأبو جعفر ﴿مَدْخَلَ﴾ بفتح الميم على أنّه مصدر واسم مكان، تقول: دخل يدخُل مدخلاً، وهذا مدخلنا، وكلّ ما كان على وزن فعل يفعل؛ فالمصدر واسم المكان على مفعّل، ودلّ قوله تعالى:

أرضوه بالهجرة
في الدنيا،
فأرضاهم في
الآخرة

المدخل العظيم
من ربّ عظيم

من فقه حركة
المعنى؛ فقه سرّ
حركة المبنى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 116.

(2) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 439، وابن الجزري، النشر: 2/249.

﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ﴾ على المصدر؛ لأنَّهم إذا أدخلوا دُخُولًا؛ فَكَانَهُ قَالَ: لِيَدْخُلْنَهُمْ، فَيَدْخُلُونَ مَدْخَلًا⁽¹⁾، وعلى هذه القراءة يكون في اختلاف المصدر زيادة تأكيد.

ونرى أنَّ كلتا القراءتين تُفيدُ التَّوكيدَ مع زيادته في قراءة الفتح، والحملُ على مُتغايِرَيْنِ هو الأعلى؛ لأنَّ الجملة الواردة فيها هاتان القراءتان تفصيلٌ للرَّزْقِ الحَسَنِ، وأنَّ الله خيرُ الرَّاظِقِينَ، فذلك أدلُّ على الحُسْنِ والخيرِيةِ.

نكتة ترك وصف المدخل بالحسن، كما وصف الرزق:

ترك البيان القرآني وصف المدخل بالحسن في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، فلم يصفه كما وصف الرزق، فلم يقل: (لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا أو حَسَنًا)، وإنَّما وصفه بـ ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ اختصارًا؛ إذ قد سبق ذكْرُه، وخاصَّةً أنَّ قوله: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ﴾ بدلُ اشتمالٍ من قوله: ﴿لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، وللمبالغة في بيان عِظَمِ هذا المدخل، فهو ليس حسنًا فحسب؛ بل فيه من الكرامة ما يحقُّ كمالَ رضاهم الذي لا ينقطع؛ لأنَّ كرامة المنزل من جملة الإحسان في العطاء، بل هي أبهج لدى أهل الهَمَمِ⁽²⁾.

دلالة التعبير بالفعل المضارع ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾:

عبر البيان القرآني بالمضارع ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾، في قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، لما في المضارع من دلالة على عِظَمِ هذا المدخل، وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار؛ إذ إنَّ استطابتهم لنعيمها مستمرٌّ، وتفكُّهم بخيرها مُتجدِّدٌ، وهذا فيه إشارة إلى مزيد عطاءه لعباده المؤمنين يوم القيامة ومزيد تكريمه

المدخل للوعود
فيه من الكرامة
ما يحقُّ كمال
رضاهم

جَدُّوا
استعذاب
الهجرة في
سبيله؛ فجَدَّدَ
لهم كمال
الإحساس
بنعيمه

(1) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 481، وابن عطية، للحرر الوجيز: 4/ 130، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.

وتشريفه لهم؛ إذ إنه يعدُّهم وكأنَّهم ضيوفه يوم القيامة، ويحرصُ على دوام رضاهم واستمراره⁽¹⁾، كما أنَّ التعبير بالمضارع يفيدُ تصويرَ حالهم، وهم في كمالِ رضاهم.

الموقع النَّحْوِيُّ لقوله: ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾:

﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ صفةٌ للإدخال أو للجنة، وهو وصفٌ لهما بكلِّ جميل؛ لأنَّ ما وقعَ موقعَ الرِّضا، فقد كَمُلَ⁽²⁾، ولأنَّهما يرضى بهما كلُّ طبعٍ وعقلٍ⁽³⁾، ولأنَّ إدخالهم يكون من غيرِ مشقَّةٍ تنالهم، بل براحةٍ واحترامٍ⁽⁴⁾، وإنَّه لمظهرٌ لتكريمِ الله لهم بأنَّ يتوخَّى ما يرضونه، فيحقِّقه لهم، وهم عباده، وهو خالقهم سبحانه، كما أنَّ هذا الوصفَ بـ(يرضونه) دليلٌ على اشتمالِ الجنة على أقصى ما يريده الإنسانُ، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: 31].

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه إمَّا جملةٌ ﴿لَيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، والمعنى: أنَّه عليمٌ بما يُرضيهم، فيعطيه إياهم، وحليمٌ على ما قد بيدُر منهم من هفواتٍ، فلا يُنقص من أجرهم، أو جملةٌ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، والمعنى: أنَّه عليمٌ بأحوالهم وأحوالِ أعدائهم، وبما يستحقُّونه، فيفعله بهم، ويزيدهم، وأمَّا الحليمُ؛ فالمرادُ أنَّه لحلمه لا يعجلُ بالعقوبةِ فيمنَّ يقدمُ على المعصية والكيدِ لأهلِ الحقِّ، بل يمهله لتقعَ منه التَّوبةُ، فيستحقُّ منه الجنة⁽⁵⁾.

سَعَوْا فِي
إِرضَاءِ اللَّهِ ﷻ
فأَرْضَاهُمْ

في العطفِ جمعٌ
بين علمِ الله
وحلمه فيما
يخصُّ المؤمنين
أو أعدائهم

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5012/9.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 528/10.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 435/7.

(4) الألوسي، روح المعاني: 180/9.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 244/23، والألوسي، روح المعاني: 180/9.

فائدة تتابع المؤكّدات في فاصلة الآية:

تفردوا بالهجرة،
فتفردوا بعظيم
آثار علمه
وحلمه

تتابع المؤكّدات في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ من (إِنَّ) التي تفيّد التّوكيدَ، والجملة الاسميّة التي تفيّد الثبوتَ والدوامَ، واللام في ﴿لَعَلِيمٌ﴾، وصيغة مبالغة (عليّم) من: عالم، أي: كثيرُ العلمِ بكلِّ أحوالِ خلقه وكونه، وهو حلِيمٌ على ما قد يبدُرُ منهم من هفواتٍ، فلا يجعلها تُنقصُ من رزقهم الحَسَنِ، ومن الرِّضا الذي يجدونه في المدخلِ الذي خَصَّهم اللهُ به، وقد أفادَ هذا التّتابعُ للمؤكّداتِ المبالغة في تأكيدِ علمه وحلمه سبحانه بما يُدخلُ الطمأنينةَ على قلوبهم.

نكتة تذييل الآية بـ ﴿لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

فائدة تقديم صفة العلم على الحلم:

ترتيب صفات
الله قد يُنظر إلى
ترتيب آثارها في
الواقع

قدّم البيانُ القرآنيُّ صفةَ العلمِ على صفةِ الحلمِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾؛ مناسبةً للسياق الذي هو بالعلمِ أوّلَى، فهو يتحدثُ عن الجهادِ وثوابِ المجاهدين مَنْ قُتلَ منهم أو من مات دون قتلٍ، ونبّه هؤلاء لا يعلمها إلاّ العليمُ سبحانه، كما أنّ البغي الذي تعرّضوا له لا بدّ له من علمٍ؛ لكي يُحاسِبوا عليه، وكذا الرضا الذي وعدهم اللهُ به لا بدّ له من علمٍ بما يحقّقه عندهم، وللاشارة كذلك إلى أنّه سبحانه يحلّمُ مع كمالِ علمه، بخلافِ المخلوقِ الذي يحلّمُ عن جهلٍ.

في التعبير
بالحلم تناسب
مع الآية التالية

كذلك تأخّر اسمُ الله ﴿حَلِيمٌ﴾؛ لأنّه يفتح البابَ لمجيء الآية التالية، وهي قوله تعالى: ﴿*ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصِرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾؛ إذ إنّها تتحدّث عن حقّ ردّ العقوبة، لكنّ مع تلويح بالعضو والصّفح الذي لا يكون إلاّ مع حلمٍ.

نكتة تنكير الاسمين الجليلين ﴿لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

نكّر البيانُ الإلهيُّ الاسمينِ الجليلين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

اللَّهُ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ» في سياق بيان عظيم قدرة الله وتأكيدها بعدة مؤكّدات؛ لإفادة معنى التفخيم والتعظيم لعلم الله وحلمه، فهو عليمٌ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم، علماً لا يُحدُّ حدُّه، ولا يُقادر قُدْرُه، ولا يعلم أحدٌ شأوه، وقيل: ﴿لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال مَنْ قضى نحبُه مجاهداً، وآمال مَنْ مات، وهو ينتظرُ معاهداً، ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريطِ المفرطين منهم بإمهالٍ من قاتلهم معانداً لا يُعاجلهم بالعقوبة⁽¹⁾.

دلالة إظهار الاسم الجليل (الله) وتكراره:

أظهر البيان القرآني اسمَ الجلالة (الله)، وكرّره في الجمل السابقة؛ لأمرين: الأول: أنه أدخل في التعظيم، وأقوى في التفخيم من الإضمار، وفيه تربيةٌ المهابة في النفوس، بما يزيد الثقة بتحقيق الموعود، والثاني: استقلال هذه الجمل، فإن الأولى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ بيانٌ بأنّه تعالى ليرزقنهم، والثانية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ بيانٌ بأنّه خيرُ الرّازقين، والثالثة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ بيانٌ بأنّه عليمٌ وحليمٌ، والتكرارُ في جملٍ متواليةٍ مستقلةٍ مستحسنٌ لاسيما إذا كانت مسوقةً للتعظيم، بخلاف التكرار في جملة واحدة، فإنّه غيرُ مستحسن⁽²⁾، ولما كان لجلاله وجماله تعالى حضورٌ حيٌّ دائمٌ قويٌّ في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم؛ كان لذلك حضورٌ في الحديث عنهم، وذكّره في الثالثة اليقن بكونها تذيلاً.

❁ الفروق المَجْمِيَّة:

الهجرة والذهاب:

يتقارب لفظا (الهجرة والذهاب)، وقد استعملهما القرآن في آيتين مُتشابهتين في قصّة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي

ليس كمثله
علمه وجماله
علم غيره
وحلمه

كمال حضور
جلاله وجماله
في نفوسهم

الهجرة أخص
من الذهاب

(1) القوّجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9 / 74.

(2) القانوني وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 102 / 13.

مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّهِ [العنكبوت: 26]، ومع هذا التقارب فإنَّ أهلَ اللغة فرَّقوا

بين الهجرة والذهاب، وإيضاح ذلك:

أصلُ الهجرة يدلُّ على قَطِيعَةٍ وَقَطْعٍ، والهَجْرُ: ضِدُّ الوَصْلِ،
وهاجَرَ القَوْمُ من دارٍ إلى دارٍ: تَرَكَوا الأولىً لِلثَّانِيَةِ، كما فَعَلَ
المُهَاجِرُونَ حِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ⁽¹⁾، والاسْمُ الهِجْرَةُ
(بالكسر والضَّمُّ): الخُرُوجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أُخْرَى، والخُرُوجُ مِنْ دَارِ
الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ⁽²⁾.

وأصلُ الذَّهَابِ: المَضْيُ والمرُورُ والسَّيْرُ⁽³⁾، والذَّهَابُ: الانتقالُ مِنْ
مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ⁽⁴⁾، وَذَهَبَ الشَّخْصُ: انصَرَفَ، وَغَادَرَ الْمَكَانَ، وَسَارَ،
وَمَضَى، وَذَهَبَ الطَّيْبُونَ: ماتوا، وَذَهَبَ الْأَثَرُ: زَالَ⁽⁵⁾.

والحاصل: يَتَمَيَّزُ لَفْظُ الهِجْرَةِ بِمَعْنَى القَطِيعَةِ والمَفَارِقَةِ،
والخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ، بَيْنَمَا يَتَمَيَّزُ لَفْظُ الذَّهَابِ
بِمَعْنَى المَضْيِ والسَّيْرِ والمرُورِ، والانصِرَافِ والمَغَادِرَةِ والانتقالِ
والزَّوَالِ، وبالتالي: فَإِنَّ الهِجْرَةَ أَخْصُّ مِنَ الذَّهَابِ؛ إِذِ الذَّهَابُ هُوَ
مَجْرَدُ الانتقالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ، بَيْنَمَا الهِجْرَةُ هِيَ الخُرُوجُ مِنْ
دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ.

الرَّزْقُ وَالْعِطَاءُ:

يَتَقَارَبُ لَفْظَا الرَّزْقِ وَالْعِطَاءِ فِي دَلَالَتِهِمَا اللُّغَوِيَّةَ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ
أَحَدُهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ، كَمَا أَنَّ الرَّزْقَ يُعَرَّفُ بِالْعِطَاءِ، وَمَعَ هَذَا
التَّقَارُبِ فَقَدْ فَرَّقَ أَهْلُ اللُّغَةِ بَيْنَهُمَا، وَإِضَاحُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْمَعْنَى
اللُّغَوِيَّةِ وَالِاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لِكُلِّ مِنْهُمَا:

الرَّزْقُ يَشْمَلُ
النَّعْمَ الْمَادِيَّةَ
وَالْعَنَوِيَّةَ؛
وَالْعِطَاءُ يَخْتَصُّ
بِالْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (هجر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم: (ذهب).

(4) محمد جبل، العجم الاشتقاقِيُّ لِلْمُؤَصِّلِ: (ذهب).

(5) العجم الوسيط، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طلق).

الرِّزْقُ في أصله يدلُّ على عطاءٍ لَوْقَتٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُ الْمَوْقُوتِ، فالرِّزْقُ: عطاءُ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ⁽¹⁾، والرِّزْقُ: كُلُّ ما يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مالٍ وَنَحْوِهِ، والرِّزْقُ بفتح الرَّاءِ: العطاءُ الدائمُ، يُقالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا، أَي: أَعْطَى، وَوَهَبَ⁽²⁾، وَكُلُّ ما يَصِلُ إلى الجَوْفِ، وَيَتَغَذَّى بِهِ؛ فهو رِزْقٌ، وقد يُسَمَّى المطرُ رِزْقًا، وَمِنْ معاني الرِّزْقِ أَيْضًا: الكَسْبُ، والهَبَةُ، والصَّدَقَةُ⁽³⁾، والرِّزْقُ يكونُ دنيويًّا وأخرويًّا، ويُطلقُ تارةً على العطاءِ الجاري، نحو: رَزَقَ السلطانُ جُنْدَهُ، وتارةً على النِّصيبِ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ﴾ [النحل: 75]، ويُطلقُ على كلِّ خيرٍ وصلَّ إلى صاحبه، نحو: رَزَقَ فلانٌ علمًا، ويُطلقُ على المرزوق، كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَلْزَيْنَ فَضْلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ﴾ [النحل: 71]، ويُطلقُ على الشُّكِّ، كقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82]، أَي: عكستم القضية، فجعلتم مكان الشُّكْرِ التَّكْذِيبَ، والرَّازِقُ: خالقُ الرِّزْقِ، ومعطيه، والمسبِّبُ له، وهو الله تعالى، وقد يُقالُ للإنسانِ الذي تسبَّبَ في إيصالِ الرِّزْقِ لمرزوقٍ، وأما الرِّزَّاقُ؛ فلا يُطلقُ على غيرِ الباري سبحانه لما فيه من المبالغة⁽⁴⁾.

والعطاءُ أصله يدلُّ على أخذٍ ومناولةٍ، والعَطْوُ: التَّناوُلُ باليدِ، والمُعَاطَةُ: المُنَاوَلَةُ، والتَّعَاطِي: تَنَاوُلُ ما ليس له بحَقٍّ، يُقالُ: فلانٌ يتعاطى ظلمَ فلانٍ⁽⁵⁾، والعطاءُ والعَطِيَّةُ: اسمٌ لما يُعْطَى، وعاطى الصَّبِيَّ أهله؛ إذا عَمِلَ لهم، وناولَهُمْ ما أرادوه⁽⁶⁾.

والحاصلُ أنَّ الرِّزْقَ أعمُّ من العطاءِ، فالرِّزْقُ يُطلقُ على كلِّ نعمِ الله تعالى الماديَّةِ والمعنويَّةِ، الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ؛ إذ أصله يدلُّ على عطاءٍ دائمٍ أو لَوْقَتٍ، وَكُلُّ ما يُنْتَفَعُ بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا، بينما العطاءُ يختصُّ بالأشياءِ الماديَّةِ؛ إذ أصله يدلُّ على أخذٍ ومناولةٍ باليدِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجهري، الصحاح: (رزق).

(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).

(4) الراغب، المفردات: (رزق)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 87/2 - 88.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عطو).

(6) الزبيدي، تاج العروس: (عطو).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.

مج. 35 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-732-77-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»